المحاضرة الأولى: النمو الحضري و الديمغرافي

تمهيد:

شهد القرن الماضي العديد من التغيرات الاقتصادية والاجتماعية المتسارعة، كان أهمها النمو والتوسع العمراني الكبير وتطوره وازدياد عدد السكان، وتشكيلهم العديد من المجمعات البشرية الحضرية الضخمة، وفي ظل وجود العديد من التغيرات الاجتماعية والاقتصادية وتنامي أعداد السكان بدأت المدن بالنمو والتوسع عمرانيا وتغيرت وفقا للنمو الديمغرافي الحاصل فيها.

وتتغير المدن وفقا للتغيير المستمر الذي تفرضه هذه التغيرات الاقتصادية، والديموغرافية والاجتماعية والتقنية، كونها قوى تجميعية لمجموعةٍ من الوظائف والخدمات والبنى التحتية تؤطرها علاقات الارتباط والاعتماد المتبادل بينهما، الامر الذي ينجم عنه تغييرات وتداخلات في استخدام الأرض التي تؤثر في بنية المدينة العمرانية ومورفولوجيتها الحضرية.

1- تعريف التحضر:

يرتبط التحضر بالتحول من النظم الاقتصادية الريفية إلى النظم الاقتصادية الصناعية وكذلك بالانتقال من البيئة التقليدية إلى البيئة العصرية. وبغض النظر عما إذا كانت هذه العملية تنبثق من عناصر النمو السكاني الطبيعي أو الهجرة الداخلية.

وهو عملية من عمليات التغير الاجتماعي، تتم عن طريق انتقال أهل الريف أو البادية إلى المدينة، وإقامتهم بمجتمعها المحلي، أي إعادة توزيع سكان الريف على المدن.

2- تعريف النمو الحضري:

- يعرف النمو الحضري على أنه تزايد أعداد و نسب سكان المدن و اتساع حجمها نتيجة الهجرة من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية والذي يؤدي إلى التوسع الأفقي في المجال مؤديا إلى زيادة مساحة المدينة .

- النمو الحضري هو العملية التي تتم بها زيادة سكان المدن عن طرق تغيير الحياة من حياة ريفية إلى حياة حضرية، أو عن طريق الهجرة إلى المدن مع تغيير العادات و طرق المعيشة حسب متطلبات المدينة .

3-عوامل النمو الحضري :

أ - الزيادة الطبيعية:

يقصد بالزيادة الطبيعية للسكان بالفارق الايجابي بين الولادات والوفيات أي ارتفاع الولادات مقارنة بالوفيات.

إذ يمكن أن نشير هنا إلى انخفاض معدل الزيادة الطبيعية بالمدينة مقارنة بالريف وذلك راجع إلى تراجع معدل الخصوبة في المدن مقارنة بسكان الريف نتيجة للظروف المادية للحياة الحضرية وتنظيم النسل وتأخر سن الزواج وارتفاع الوفيات خاصة

بعد الثورة الصناعية وتدهور الظروف الصحية وانتشار السكنات الغير الصحية وظروف العمل الشاقة خصوصا مع تشغيل الأطفال والنساء بأولى المدن الصناعية، إلا أن التقدم التكنولوجي الذي رافق الثورة الصناعية عمل على تحسين الرعاية الصحية في المدن فانخفضت معدلات وفيات الأطفال في المدن مقارنة بالأرياف خاصة في دول العالم الثالث التي خصصت رعاية صحية في المدن فقط.

ب- **الهجرة:**

هي الحركة التي يقوم بها الأفراد للانتقال من موطنهم الأصلي إلى أماكن معينة داخل الوطن وخارجه من إقليم إلى آخر، من بلدية إلى أخرى، من مدينة إلى أخرى.

من أهم مظاهر الهجرة المؤثرة في النمو الحضري للمدن ظاهرة النزوح الريفي التي عرفت ذروتها مع الثورة الصناعية إذ يعتبر التباين في مستوى المعيشة السبب الرئيسي إلى الهجرة من الأرياف.

ج- ضم القرى والأرياف إلى المدن.

د- القرارات الإدارية البلدية والتنظيمية التي يتم بواسطتها تصنيف بعض التجمعات السكانية الريفية على أنها حضرية

4- مراحل النمو الحضري في الجزائر:

وصلت نسبة التحضر في الجزائر في تعداد 1987 حوالي 49% من مجموع السكان في حين أن هذه النسبة كانت حوالي 5% في بداية القرن الـ 19 أي بعبارة أخرى فقد ارتفعت نسبة سكان المدن الى مجموع السكان بحوالي 43% في ظرف قرن ونصف ونحاول تلخيص مراحل النمو الحضري في الجزائر كما يلي :

-**المرحلة الأولى (1830-1910)** : وهي مرحلة استكمال الغزو الفرنسي للجزائر وتوسيع الاستيطان الأوربي على حساب أراضي القبائل والعروش المتواجدة في السهول الساحلية الخصبة والأحواض الداخلية وإقامة المستوطنات والأحياء الأوربية بالقرب من المدن الجزائرية العتيقة وتدعيمها بالهياكل الأساسية من طرق برية وسكك حديدية ، أنجزت بأيادي جزائرية استقطبت من الأرياف تبدأ هذه الشبكة عند مصادر المواد الأولية من معادن وثروات طبيعية أخرى وتنتهي عند الموانئ من أجل ربط الجزائر بفرنسا في مجال التصدير والاستيراد المواد الأولية الخام مقابل المنتجات الصناعية الفرنسية.

ظلت الأغلبية الساحقة من الجزائريين خلال هذه المرحلة تعيش في الأرياف بأوضاعها المزرية المتدهورة في جميع المجالات الأمر الذي دفع الكثير منهم الى الهجرة نحو المراكز الحضرية والعمل في الأشغال الشاقة كحفر خنادق السكك الحديدية وإنجاز الموانئ و شق الطرق عبر الجبال.

- **المرحلة الثانية (1910-1954)**: مرحلة الاضطرابات وكثرة الحروب والأزمات الاقتصادية العالمية التي أثرت على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الجزائر وتسبب في انتشار الفقر من جراء تناقص الإنتاج الزراعي الفرنسي وتعويضه

بالمنتوج الزراعي الجزائري (خاصة الحبوب).

واستمرت هذه الوضعية الصعبة الى ما بعد الحرب العالمية الثانية، وقد أدت هذه الظروف السياسية والاقتصادية الى الهجرة من الأرياف إلى المدين بحثا عن ظروف أفضل.

-**المرحلة الثالثة (1954-1966)**: مرحلة اندلاع ثورة التحرير والسنوات الأولى من الاستقلال التي شهدت معدلات نمو حضري مرتفعة وهجرة من الأرياف اتجاه المدن بسبب انعدام الأمن ، وسياسة التشريد والطرد والتقتيل الجماعي وإقامة المحتشدات لمراقبة سكان الأرياف وعزلهم عن الثورة، بعد الاستقلال تواصلت الهجرة المكثفة نحو المدن بسبب عودة اللاجئين الجزائريين من المغرب وتونس واستقرارهم في المدن زيادة عن الهجرة المكثفة من الأرياف بسبب تواجد حظيرة السكن الشاغر في المدن من جراء مغادرة الفرنسيين.

- **المرحلة الرابعة (1966-1977)**: وهي مرحلة التخطيط الاقتصادي وسياسة التصنيع التي تبناها الرئيس الراحل هواري بومدين مصحوبة بإصلاحات زراعية كتأميم الأراضي وإنشاء التعاونيات الفلاحية وبناء القرى الاشتراكية ،كل ذلك أدى إلى تحريك السكان إلى المدن بحثا عن العمل وحياة أفضل بسبب سياسة التركيز على عملية التصنيع في مجال الاستثمارات وتهميش الزراعة.

- **المرحلة الخامسة (1977-1987)**: وهي مرحلة تشبع المدن وكثرة الأزمات الاجتماعية خصوصا أزمة السكن الحادة وانتشار البطالة من جراء نزع الدعم الحكومي لبناء السكن وباقي القطاعات الأخرى وعدم قدرة الهياكل والتجهيزات الحضرية من تغطية الحاجيات السكانية المتزايدة.

5- إشكالية التحضر في الجزائر:

إن ظاهرة التحضر التي أصبحت منتشرة في كثير من المراكز العمرانية في الجزائر ، وصارت تواجه العديد من المشاكل منها ما يلي:

-ارتفاع معدلات النمو الحضري التي أصبحت تتراوح ما بين 3-6%سنويا في مختلف أحجام المدن الجزائرية.

-عدم القدرة على السيطرة على التوسع الحضري و عدم احترام مخططات التهيئة والتعمير بسبب الاختلال في التوازن بين سرعة نمو النسيج العمراني وقلة إمكانيات وسائل المراقبة أو انعدامها في بعض الأحيان.

-فقدان السيطرة على المدن نتيجة النمو العمراني المفرط والغير المخطط أي أن ظاهرة التحضر في الجزائر والإشكاليات الناتجة عنها يمكن إرجاعها إلى سببين رئيسيين هما:

أ-الموجات المستمرة لتوافد من الأرياف نحو المراكز الحضرية بسبب الاكتضاظ وتناقص فرص الشغل وعدم تطوير وتهيئة الأرياف.

ب- الزيادة الطبيعية.

وكمحاولة من ظاهرة التحضر الحتمية في الجزائر وضع الخبراء والباحثين المهتمين مجموعة من المحاولات والإستراتيجيات والبدائل التي يمكن اعتبارها وقاية للنمو الحضري المتوقع مستقبلا، والتي نذكر منها:

1-تحديد الطاقة الإستعابية المتوقعة والممكنة لكل مدينة وفق محدداتها و إمكانياتها الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية

2-بناء هيكلة حضرية متزنة عبر مختلف جهات التراب الوطني مع عدم التركيز على العاصمة أو المدن المتروبولية أو المدن الجهوية الكبرى ، من أجل إيجاد نوع من التوازن بين أحجام التجمعات الحضرية من جهة ولتوجيه النمو العمراني نحو مراكز حضرية ثانوية بدلا من التركيز على المدن الكبرى.

3-تهيئة إقليم المدينة للتخفيف من الضغط المركز على المدينة إداريا و اقتصاديا.

4-تشجيع الهجرة العكسية من المدن إلى الأرياف وذلك عن طريق عدة إجراءات تحفيزية وهي كما يلي:

أ-تنمية المناطق الريفية والعمل على أن تتحول المراكز الريفية إلى مناطق جذب سكاني.

ب-تطوير وسائل النقل والمرور بين المدينة ومناطق الخدمات والعمل من جهة والمستوطنات الريفية المجاورة من جهة أخرى بحيث تصبح رحلة العمل اليومية غير متعبة وليست طويلة زمنيا.

ج- تحويل الأوساط الريفية المجاورة إلى أماكن للراحة والهدوء والرياضة بعيدا عن الضوضاء والتلوث البيئي.

د-ينبغي أن تصاحب التهيئة العمرانية في المراكز الحضرية تهيئة ريفية متوازنة بنفس المستوى أو اكثر نسبيا.

6- انعكاسات التحضر في الجزائر:

أدى النمو الحضري المتزايد نتيجة لعدة أسباب في الجزائر إلى انعكاسات سلبية كثيرة من بينها نذكر ما يأتي:

1-أزمة السكن الحضري: إن كثرة الطلب على السكن الحضري بسبب الزيادة الطبيعة بين سكان المدن من جهة وبسبب استمرار الهجرة الريفية غير المنظمة من جهة أخرى

2-التدهور في مستوى تجهيز المدن بالمرافق والخدمات : جميع المؤشرات توضح تدهور مستوى المرافق والخدمات في المدن الجزائرية التي أصبحت طاقتها محدودة لمواجهة تزايد عدد سكان الحضر من بين هذه المؤشرات اختناق المدن الكبرى بحركة المرور نتيجة الزيادة المرتفعة لعدد السيارات، وعدم تطور شبكة الطرق لتلبية متطلبات حركة المرور المكثفة بها كما أن وسائل النقل الحضري أصبحت عاجزة عن تلبية احتياجات تنقل السكان خلال رحلاتهم اليومية، واحسن مثال على ذلك حركة المرور بمدينة الجزائر العاصمة، وهران قسنطينة ،عنابة.

3-تناقص كمية المياه الصالحة لشرب.

4-ظهور الأحياء غير اللائقة.

5- التصحر: بالرغم من أن التصحر ظاهرة طبيعية منذ الأزل إلا أنها ازدادت بشكل ملحوظ بزيادة النشاطات البشرية ونتيجة لمعاملات غير واعية.

6- التلوث بجميع أنواعه و أشكاله.